

الخبول وهجرة على دولة كندة من خلال آثار ونقوش قرية الفاو

● د. عبد الرحمن الطيب الانصاري
رئيس قسم التاريخ والآثار — كلية الآداب

ان الحديث عن دولة كندة حديث يطول وقد لا نصل فيه الى نتيجة وخاصة اذا ما اردنا ان نستعرض آراء النساب والمؤرخين ، ذلك لأن عوامل كثيرة ساعدت على ان تجعل من كندة قبيلة ثم دولة تحاك حولها وحول اماكنها وملوكها الكثير من الاخبار التي لا نشك في ان الاعتماد فيها على الرواية الشفوية تسبب في البلبلة التي يعار فيها المؤلف . ولا يمكننا ان نلقي بالعصبية القبلية التي راجت في القرون الاولى للهجرة ، ان نلقي بها جانبا لأنها اثرت في مسار الحياة السياسية وفي الحياة الاجتماعية التي كانت تموج في دمشق وفي البصرة والكوفة وما بينها من البوادي والتي تستمد قوتها ونفوذها من تثبيت جذورها عبر القرون في الجزيرة العربية ، لكي تجد طريقها الى المجد ، وحتى تنفذ من خلال التنافس القاسي الى الصفوف الاولى في مجريات الاحداث . ذلك لأن الغلفاء كانوا يجدون فيها فرصة طيبة للحكم من ورائهم وان لم ينتبهوا الى ان الاستفادة من هذا الصراع القبلي محدودة ، ذلك لان خسارتهم كانت افدح مما يتصورون . فقد قصر الصراع عمر الدولة الأموية وافقد العرب وهم مادة هذا الصراع سيطرتهم على مقاليد الامور منذ قيام الدولة العباسية رغم ما يراه البعض من ان الدولة العباسية كانت عربية ، او بمعنى آخر قامت على اكتاف العرب ، الا انه مما لا شك فيه ان تصور انه من المفروض ان يستعيد العرب تجمعهم وحدثهم مقابل هذا التغير ، ولكنه على ما يبدو كان تغيرا بطيئا لم يشعروا به كما نعتقد ان الرخاء الذي اصاب العالم الاسلامي في بغداد والحياة الرغيدة التي استمتعوا بها افعدتهم عن التجمع . الى جانب عوامل أخرى ليس هذا مجال ذكرها .

وهكذا نجد انفسنا نقف حائرين امام كثير من مجريات الاحداث في الجزيرة العربية قبل الاسلام ، ذلك لأن ظروفًا خاصة خلقت للعرب تقليدا لم يعرفوه من قبل وهو تقسيم انفسهم الى مجموعتين كبيرتين هي مجموعة القحطانيين ومجموعة العدنانيين ، وكل مجموعة تحاول أن تضم اليها أكبر عدد من قبائل الجزيرة العربية ، بل وصل بهم الأمر الى أن يضموا اليهم قبائل اذلها الاسلام لمواقفها المعادية من دعوة التوحيد وهذا ما نجده لدى القحطانيين الذين ضموا اليهم عادا وثمود . ولعب الشعر والشعراء دورا كبيرا في هذا المجال ، بل وأصبح فريق من القبائل يصطنع قصائد ليعزز مركزه كما فعل الأوس والغزرج وغيرهما من القبائل .

وقد لعبت شخصية امرئ القيس الشاعر دورا كبيرا أيضا ، فقد كانت مادة خصبة نسجت حولها الأساطير لدرجة جعلت بعض مؤرخي الأدب يبدؤون بالشك في تصديق وجود هذه الشخصية . كما لعبت أيام العرب كأنموذج للفروسية والبطولة والمراعاة القبلية الدامي ، لعبت دورا زادا في غموض الصورة التي يجري رواها الباحث وفي تعقيدها .

الا أننا مع ذلك لا نعدم وجود أخبار يحتمل قبولها واعتمادها كمنطلق لبحثنا ، وخاصة إذا ما رجعتها نتائج الحفريات الأثرية التي تجري في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية وفي بلاد الشام ، مما أعاد الأمل الى إمكان إعادة النظر في بعض ما يرويه المؤرخون وما يشير اليه الشعر العربي من أحداث ومواقع .

وإذا رجعنا الى قبيلة ودولة كندة وقرأنا ما كتب عنها في كتب التاريخ والأنساب ودواوين الشعر ، تظهر لنا مجموعات من علامات الاستفهام أمام كثير من نواحي حياتها السياسية والاجتماعية المختلفة ، وعلاقاتها بالقبائل الاخرى والممالك المعاصرة لها . وعلى كل فأننا لن نستطيع الاجابة على علامات الاستفهام ، بل سنحاول أن نضع معالم على الطريق عليها تسهم في وضوح الصورة اذا ما تابعنا السير في أبحاثنا بروح علمية ودأب مستمر .

دعونا نبدأ طريقنا بالبحث عن كندة القبيلة وكندة الدولة . يحاول مؤرخو الجزيرة العربية أن يجعلوا كندة قبيلة جنوبية ، فقد كانت تسكن أولا منطقة حضرموت ثم انتقلت الى وسط الجزيرة ، وأصبحت لها السيطرة كدولة حتى شملت شرق الجزيرة ووسطها وجزء من شمالها وجزء من غربها ، أي أنها أصبحت تحتل رقعة أقل بغليل من رقعة المملكة العربية السعودية . ولكن يبدو أن الأماكن التي تدور عليها وحولها قبيلة ودولة كندة ، كانت في الوسط الجنوبي من الجزيرة العربية .

وتعالوا نستعرض أماكن ورد ذكرها في شعر امرئ القيس في مملته لعلها هي الأماكن
 كان يرتادها في نطاق دولة كندة وهذا لا يعني أننا نجزم بذلك ولكننا نستخدمها
 لمحاولة القيام بتحديد أدق من التعديد الكبير خاصة وأن امرؤ القيس هو أحد
 الشخصيات التي ارتبط تاريخها بتاريخ دولة كندة كوريث للعرش بعد موت أبيه
 الذي اغتالته قبيلة أسد * يقول امرؤ القيس :

قفنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
 يسقط اللوى بين الدخول فعمل
 فتوضح فالمقبرة لم يعف رسمها
 لما نسجتها من جنوب وشمال
 كدأبك من أم العويرث قبلها
 وجارتها أم الرباب بماسل
 ألا رب يوم لي من البيض صالح
 ولا سيما يوم بدارة جلجل

فلنستعرض بعض الأماكن التي جاءت في مملته :

- سقط اللوى :** سناق يقال له اليوم مشرف واسمه في الجاهلية شراف *
- الدخول :** ماء عذب معروف بهذا الاسم يقع شمالي الهضبة المعروف بين
 وادي الدواسر ووادي رنية *
- حومل :** جبل قريب من الدخول في جهته الغربية الجنوبية يبعد مسافة
 نصف يوم من الدخول *
- توضح :** أرض قريبة من الهضبة يقال لها اليوم التوضيحات تقع عند جبل
 الحمل جنوباً والحمل جبل يقع جنوبي الهضبة فجميع هذه
 المواضع بعضها قريب من بعض *
- المقبرة :** واد يصب إلى جهة الجنوب بين الهضبة والسوادة وقر حرف
 اليوم إلى القمرا *

دارة جلجل : وأما دارة جلجل التي عنها امرؤ القيس فهي باقية الى اليوم في بطن الهضب تقع في جهته الجنوبية الشرقية ويقال لها اليوم دارة جلجل وهو الموضع الذي عناء عمرو بن العثارم البجلي بقوله :

وكنا كأننا أصل دارة جلجل
مدل على أشباله يتهمهم

وهي دارة عظيمة تحيط بها مضبات باقية على هذا الاسم *
وفي كتاب جزيرة العرب للأصمعي : دارة جلجل من منازل حجر الكندي بنجد *

عرعرا : هو ماء في الهضب الواقع في المنطقة الجنوبية من نجد يقال لهذا الهضب اليوم هضب آل زاهد * والماء يقال له عراعر معروف بهذا الاسم اليوم عند جميع أهل نجد وهو واقع في الجهات التي ذكرها امرؤ في أول معلقته *

قيصر : موضع يقع من الأفلاج في الجهة الجنوبية الشرقية ، جبل فيه أبارق يقال له الجنة . وأرض يقال لها الأجر فيها مياه ، وهي قرية من الجنة بين الأفلاج ووادي الدواسر *

ماسل : الذي عناء امرؤ القيس هو ماسل الهضب وهو في وسط الهضب في عالية نجد الجنوبية *

قرقرى : أرض باليمامة إذا خرج الخارج من وشم اليمامة يريد مهب الجنوب وجعل العارض شمالاً فإنه يملو أرضاً تسمى قرقرى فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة ومن قرأها الهزيمة فيها أناس من بني قریش وبني قيس بن ثعلبة ، وقرماً والجواء والأطواء وتوضح * ثم يقول : وفي قرقرى أربعة حصون : حصن لكندة وحصن لثميم وحصنان لثقيف *

فتنن نرى أن هذه المواضع تكاد تكون في منطقة واحدة هي المنطقة الواقعة في عالية نجد الجنوبية أو على وجه التحديد جنوبي خط المسافر من الرياض بعد تركه

لجبل طويق الى الداودمي وما حولها حتى وادي الدواسر جنوبا وهذا التقارب يجب أن نأخذه في الاعتبار ، لأن تلك الاماكن كانت أقرب الى نفس الشاعر لأنه قضى فيها أجمل أيام حياته *

ثم دعونا نضيف الى هذه الاماكن التي جاءت في شعر امرئ القيس مكانا جاء في كتب البلدانيات وهو :

قرية : يقول البكري في معجمه : « قرية بفتح أوله واسكان ثانيه على لفظ الواحدة من القرى معرفة لا تدخلها الألف واللام : موضع بين عقيق بنسي عقال واليمن » *

ويقول الهمداني في الصفة : ثم رجعت الى الطريق من المقرب تريد اليمن قصد نجران فتشرب بحسي كباب الذي يقول فيه مروان بن أبي حفصة :

والعيس قد علت الدبيل وخلفت بطن العقيق بنسا وحسي كباب

فان تيامنت شربت ماء عاديا يسمى قرية السى جنبه أسار عادية وكنيسة منحوتة في الصخر » *

وقرية هذه التي جاءت لدى الجغرافيين العرب هي على وجه التحديد ما يعرف الآن بقرية لدى سكان منطقة وادي الدواسر كما تسمى « قرية » الفاو لأنها في النقطة التي يتداخل ويتقاطع فيها وادي الدواسر بحاجز طويق في قناة تدعى الفاو أي فم القناة أو الوادي *

ومن هنا يمكن أن نقول أن مجموع تحديد هذه الاماكن مع تحديد مكان « قرية » يعطينا فكرة عن المنطقة التي كانت تعيش فيها كندة خاصة اذا ما لاحظنا ما ذكره ياقوت عن قرقرى وأن فيها حصنا لكندة ، ثم نجد الهمداني يقول : فأما مراحل نجران السى العقيق فأولها الكوكب وهو قلت ، ثم الحفر ثم ثلاث مراحل ثم العقيق ، وسمى العقيق لأنه معدن يعق من الذهب وهو لجرم وكندة ففيه الآن الكنادرة من كندة *

وقد بدأ الاهتمام بقرية الفاو كمناطق أثرية باهتمام بعض موظفي شركة أرامكو بها منذ الأربعينات ، ثم جون فيليبي الرحالة المعروف الذي عاد إليها مع

مجموعة من العلماء أهمهم آل ريكانز سنة ١٩٥٢ وقد كانت ثمرة رحلتهم جيدة ، ثم قام البرث برحلته اليها سنة ١٩٦٩ ، ودرس مجموعة من النقوش التي جمعها ثم قامت جامعة الرياض برحلات متتالية منذ سنة ١٩٧٠ م ، وحفرت فيها حفريات تركزت على التل الكبير الى جانب بعض التلال الاخرى وبعض المقابر * ورغم أن النتائج بالنسبة للتل الكبير كانت باهرة اذ أننا نعتقد أنه كان سوق القرية لوجود دكاكين للبائعين وأسماء اصحاب هذه الدكاكين ، كما يعطي فكرة عن نوع البضاعة التي كانت تباع فيه ، وخاصة أنه يتسع على حافة الوادي الذي يفصل بينه وبين الجبل * وصورة السوق تذكرني بوصف سوق المشقر الذي ورد وصفه في الكتب العربية ، فهو بهذا يعتبر أول سوق متكامل يظهر في وسط الجزيرة بشكل عام * وبجانب ذلك فقد وجدنا أحد الدكاكين يبدو أنه كان لمطاط القرية أو رسامها ، اذ وجدنا فيه رسوما لرحلة صيد للجمال ، كما وجدنا كلمة (ملث) مكتوبة فوق أحد الشخصيات المرسومة ، والشيء الذي يثير الاهتمام هو وجود كلمة كهمل منتشرة بأشكال مختلفة -

والى جانب ذلك اكتشفنا مقبرتين من نوع المقابر العائلية والتي لم نكتشف لها مثيلا فيما اطلعت عليه من حفريات في الجزيرة العربية ، والذي قد نجد لها شبيها في فلسطين وبلاد الشام في القرون الاولى للميلاد * وقد وجدنا المقبرتين قد نهبتا قليا ولم نجد الا شاهد القبرين :

المقبرة الاولى هي لمجل بن هفعم وهذا هو نص النقش حسبما ورد :

١ - عجل / بن / هفعم / بن / لاخه / ربهل / بن / ه

٧ - شريم / ومدرتهنم / ابدم

٢ - فعم / قبر / ولدهو / ولولدهو / وم

٣ - راته / ولولدهو / وولد / ولدهم -

٤ - ونسيهم / حريز / ذوال / غلون / ف

٥ - اعذه / بكهل / وله / وعثر

٦ - اشرق / من / عززم / وونيم / و

٨ - بن / وكسم / عدكي / تمط

٩ - ر / اسمى / دم / ولاد

١٠ - ض / معر *

وهذا هو محتوى النص :

١ - عجل بن هفعم بني لأخيه ربال بن

٢ - هفعم قبرا وله ولولده

٣ - ومراثة واحفاد احفاده

٤ - ونسأهم الحرائر من آل غلوان

٥ - فأعاده بكهل ولاه وعشر

٦ - أثرق من كل ضيق ووني

٧ - وشر زوجاتهم أبدا

٨ - من كل خسارة والا فلتعطر

٩ - السماء دما والارض

١٠ - سعيرا *

فتنم هنا نلاحظ أن النص يقترب الى حد كبير في مظاهره اللغوية من لغة الشمال * كما أننا نجد ذكرا للمعبود كهل كمعبود رئيسي ، وعلى كل فهذا المعبود شمالي إذ كان من جملة معبودات الثموديين ، وهو معبود يشير الى القمر ، معبود القوافل * فهل هذا كان معبده في قرينته ؟

أما المقبرة الثانية فعليها بناء يعلو المقبرة مربع الشكل مبني من الحجر المسوي * كما وجد بجانب البناء نصف علوي بدون رأس لتمثال يذكرنا بتمائيل تدمر والأنباط كما وجدنا في هذا البناء العلوي قطعا فخارية نبطية يدل شكلها على أنها من أفضل أنواع فخار القرن الثاني الميلادي * أما المقبرة فيبدو أنها بنيت في العصر الاسلامي إذ وجدت مع الرمال التي تملأ المقبرة نقشا اسلاميا لشخص يسمى زياد * كما وجدنا شاهد القبر على عمق حوالي مترين من المنزل وكأنه ساقط من مدخل البناء العلوي ، وحروف النص سيئية الشكل بعكس النص السابق والتي تتخذ شكلا محليا * وهذا هو النص حسبما ورد :

١ - قبر / م عوى / بن / ربعت / ذال / (م) (٩) (ث) / (ق)

٢ - حطنى / ملك / قحطن / ومذحج / بنى / عل

٣ - ه / عده / هفعم / بن / بدن / ذ (ل) / آل

وهذا هو محتوى النص :

١ - قبر معاوين بن ربيعة من آل ...

٢ - القحطاني ملك قحطان ومذحج بنى عليه

٣ - عبده هفعم بن بران من آل ...

وهذا النص على قصره يشير كثيرا من التساؤلات عن هذا الملك الجديد الذي لم يرد له ذكر الا في النقوش الجنوبية ولا في الكتب العربية . فهو على ما يبدو قحطاني بسط نفوذه في « قرية » علي قحطان ومذحج ، بمعنى أن هذه المنطقة كانت تسكن من قبل هاتين القبيلتين بشكل خاص - فبالنسبة لقبيلة قحطان نجد أنها كان يحكمها ملك كندة في القرن الاول قم . وهذا ما يشير اليه النص Ja 635 وهو أقدم نص يصلنا عن « قرية » التي تعبد كهلا - اذ يذكر النص أن أبكرب أحرس الذي كان قائدا للجيش للملك شعرم أونو ملك سبأ وذي ريدان قد حارب ضد مدينة « قرية » ذات كهل ضد ربيعة من آل ثور ملك نذكندة وقحطان وضد سادات مدينة « قرية » فما صلة معاوية هذا بربيعة من آل ثور ؟ انني أظن أن معاوية هذا وأعتقد أنه كان في القرن الثاني الميلادي - انما كان في فترة ضعف لكندة ، واستطاع معاوية وهو من قحطان أن يملك عليها وعلى مذحج رغم أن مذحجا مرتبطة ارتباطا قويا مع كندة في النصوص الجنوبية وفي الكتب العربية . فالنص رقم Ja 576 يشير الى ارتباط كندة بمذحج والتي يذكر النص أن قتالا نشب بين الشرح يحضب من جهة وبين مالك ملك كندة وشعب كندة من جهة أخرى وذلك من سنة ٥٠ - ٣٠ قم وكذلك النص رقم Ja 660 والذي يعود الى أوائل القرن الرابع للميلاد والذي يشير الى أن كندة ومذحجا كانت ضمن القبائل القوية في جيش شعمر بهرعرش ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنة . ثم نجدها أيضا في النص Ja 665 من جملة القبائل مع مذحج في جيش يسرم يهنم وابنه ذرا أمر وذلك من سنة ٣١٥ / ٣٢٠ م وان كنا نجد كندة بمفردها تشترك في حملة أبكرب أسعد وابنه

حسان يهنعم ملكي سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعراب طلود تهامة فسي نقش
 Ry 509 سنة ٤٢٥ - ٤٣٠ م بمعنى أن كندة كانت تعيش في هذه المنطقة هي
 ومذحج وقحطان ولكن الغلبة كانت لكندة في المرحلة الأولى ثم لقحطان . أما مذحج
 فكانت قبيلة يحسب حسابها ولكن يبدو أنها مرتبطة برباط ما مع كندة ، ولعل هذا
 ما تشير إليه الكتب العربية عندما تتحدث عن نسب كندة ومذحج . فكندة هو ثور
 بن عفير بن عدي بن العارث بن مرة بن أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن
 كهلان بن سبأ . ومذحج هو مالك بن أد بن زيد السبي آخر النسب . فعلى هذا
 فمذحج يقع في مرتبة الجد الثالث لكندة وهو عم الجد الثاني لكندة .

ومن كل ذلك نرى أن معاوية بن ربيعة حكم في فترة لم تكن فيها كندة حاکمة
 لقرية ، ويبدو أن كندة قد ضعف مركزها بعد الحملة التي قام بها أكراب أحرس ،
 ثم حملة الشرح يحضب في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد إذ أننا لا نجد
 ذكرا لكندة بين هذه الفترة وبين فترة حكم معاوية بن ربيعة القحطاني .

وهنا نلتفت إلى نقش آخر وهو نقش النمارة الذي يعود تاريخه إلى سنة

٣٢٨ ميلادية وصاحبه امرؤ القيس بن عمر ملك العرب كلهم ، فانه يشير في نصه
 إلى مذحج . وإذا نظرنا إلى القبائل التي وردت في النص فانتسنا يمكن أن نلاحظ
 بأنها كانت مرتبة ترتيبا جغرافيا ، فهو قد بدأ بقبيلتي أسد ونزار في الشمال ثم نزل
 جنوبا إلى مذحج ثم انصرف إلى نجران مدينة شمر ، ثم اتجه إلى قبائل معد .
 بمعنى أن امرؤ القيس قد حارب مذحجا في مكان ربما كان « قرية » ولعله سلكنه
 التجارة والثقافة التي نجد آثارها واضحة في المكتشفات الأثرية .

ومما يلفت النظر في « قرية » أن « كهلا » كان هو معبوده الرئيسي سواء في
 السوق أو في المقبرة .

ومن كل ذلك نظن أن « قرية » المشار إليها في النقوش لا شك أنها هي « قرية
 الفاو » وأنها ذات الميود « كهل » ، خاصة إذا ربطنا ذلك بإرتباط المواقع التي جاءت
 في شعر امرئ القيس بمنطقة ، وبذلك تكون « قرية » هي عاصمة كندة الأولى
 أو على أقل تقدير إحدى حواضرها ، وإن كنت أرجح أنها العاصمة . وخاصة إذا
 نظرنا إلى مساحتها والتي تعد كبيرة نسبيا ، إذا ما قيست بحجم مدن تلك لفترة
 في المناطق المجاورة .

بعض المصادر والمراجع

- ١ - أحمد بن مكرم الانصاري
لسان العرب اعداد يوسف خياط ونديم مرعشلي - بيروت ، سنة ١٩٧٠ م .
- ٢ - مطهر علي الايرياني :
في تاريخ اليمن ، دار الهنا للطباعة ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .
- ٣ - جونار أولندر
ملوك كندة من بني آل المرار، ترجمة عبد الجبار المطلبي، بغداد سنة ١٩٧٣ م
- ٤ - محمد بن عبدالله بن بليهد
صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار ، طبعة ثانية ، سنة ١٩٧٢ م .
- ٥ - حمد الجاسر
مدينة الرياض عبر أطوال التاريخ ، الرياض ، سنة ١٩٦٦ م .
- ٦ - ياقوت العموي
معجم البلدان ، بيروت ، سنة ١٩٥٧ م .
- ٧ - عبدالله بن خميس
المجاز بن الإمامة والعجاز ، الرياض ، سنة ١٩٧٠ م .
- ٨ - محمد بن الحسن بن دريد
الاستقامة ، القاهرة ، سنة ١٩٥٨ م .
- ٩ - جواد علي
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت ، ١٩٦٨ - ١٩٧٣ م .

١٠ - الطاهر أحمد مكسي

امروء القيس أمير شعراء الجاهلية حياته وشعره ، الطبعة الثانية ، دار
المعارف ، القاهرة ، سنة ١٩٧٠ م .

١١ - أحمد بن عبد الوهاب النويري

نهاية الأرب ، القاهرة ، سنة ١٩٥٤ م .



1. A.F.L. Beeston: Warfare in Ancient South Arabia (2nd. - 3rd. Centuries A.D.) Qathan Fase. 3, London 1976.
2. R. Dussaud: La Penetration des Arabes en Syrie Avant L'Islam, Paris, 1955.
3. G.R. Harding: An index and concordance of Pre-Islamic Arabian names and Inscription, Toronto, 1971
4. A. Jamme: Le Pantheon Sud-Arabe Pre-islamique, Le Museom, LX, 1-4 Louvain, 1947.
5. A. Jamme: Sabeian Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib) Baltimore 1962.
6. A. Jamme: Sabaeen and Hassaeen Inscriptions from Saudi Arabia Rome 1966.
7. A. Jamme: Miscellanees d'ancien Arabe IV, Washington D.C. 1973.
8. Ph. Lippens: Expedition en Arabie Centrale, Paris, 1956.
9. J.B. Philby: Two notes from Central Arabia, G.J. vol. 113, 1949.
10. J.B. Philbyn: Motor Trakes and Sabean Inscriptions in Najd, G.J. vol. 116, 1950.
11. G. Ryckmans: Les Religions Arabes Pre-islamiques, Louvain 1951.